

إرهاصات الطب النفسي الإيقاعي والتطوري (1)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD060517.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/05/06

السنة العاشرة - العدد: 3535



مقدمة:

.....

أثناء مراجعتي لهذا العمل - عندما يتعري الإنسان - الذي كتبتَه منذ خمسين عاما لإعداد الطبعة الرابعة، اكتشفت - كما ذكرت الأسبوع الماضي وما قبله -



اكتشفت الأساس الصلب الذي كان وما زال راسخا في عمق وجداني المعرفي عن الإنسان وتطوره، وبدرجة أقل عن الإيقاعيوي، ومن واقع الحوار المباشر بين الفتى (الذي عبر خبرة المرضى وراح يحاور الحكيم والطبيب)، وأيضا ما لاح في الحوارات الكاشفة بين المرضى والطبيب (الحكيم) الذي يمثل الموقف الشامل لهذا النوع التطبيب.

قلت أو اصل اقتطاف ما يخص المفاهيم الأساسية التي تُظهر غور فكرة التطور بهذه الصورة الحوارية المباشرة البعيدة عن التتظير والتنعير، وفي نفس الوقت أحقق ما وعدتُ به من التدخل بأقل قدر من التعقيب لتوفير للوقت لإنجاز إصدار أعمالِي في صورتها الورقية.

المقتطف الأول) :من فصل: "في القفص" (بين الفتى (المحاور) والحكيم

.....

قال الحكيم:

ألم أقل لك إنك تتعلم الحكمة بأسرع مما حسبت، حتى أكاد أراك سبقتني إلى معرفة جوهر الأشياء، أراك تقترب من حقيقة الإنسان بأمانة سوف تجلى بصيرتك، وأكاد أتصورك بعد تجربة مرضك تساهم في مسيرة الإنسان على طريق تطوره.

المقتطف الثاني) :من فصل: "الشعلة والحريق" (بين المريض والطبيب (الحكيم)

.....

قال الحكيم:

- التناقض هو من قوانين الحياة وهو المحرك الأول في تطور الانسان واستمرار الحياة

قال المريض (!!!):

- آه...!! تطور الإنسان؟! أنت تحلم كما كنت أحلم وأنا صغير، يبدو أنك لم تتضح بعد يا دكتور،

قال الحكيم:

ألم أقل لك إنك تتعلم الحكمة بأسرع مما حسبت، حتى أكاد أراك سبقتني إلى معرفة جوهر الأشياء، أراك تقترب من حقيقة الإنسان بأمانة سوف تجلى بصيرتك، وأكاد أتصورك بعد تجربة مرضك تساهم في مسيرة الإنسان على طريق تطوره

سأعلمك أنا معنى التناقض والنضج: التناقض الجاري هو أن تؤمن حتى تكفر، أن تعبد حتى تكفر، أن تتحمس حتى تتبلد، أن تصرخ حتى ينعيس صوتك، أن تكبر حتى تموت... هذا هو التناقض

كيف تقف هذا الموقف وقد شاب المتبقي من شعرك على صلعتك؟ سأعلمك أنا معنى التناقض والنضج: التناقض الجارى هو أن تؤمن حتى تكفر، أن تحب حتى تكره، أن تتحمس حتى تتبدل، أن تصرخ حتى ينحبس صوتك، أن تكبر حتى تموت.. هذا هو التناقض.. أما النضج المعروض فهو أن تتشكل وتتلون لتتكيف مع كل زيف حولك، ما علينا .

المقتطف الثالث (يمن فصل: "الشعلة والحريق)

(منطق المرض: وقبول التحدى)

.....

قال الرجل:

... ولكن قل لى يا دكتور هل تؤمن أنت بشيء، أم أنك ترتزق مثل سائر الكهنة المرتزقة من احتراف مهنة ما.. طبعاً أنت مرتزق، هذا واضح، ولكن هذا لا يمنع من السؤال: هل تؤمن بشيء؟
- أنا لا أصلح لهذا العمل إن لم أؤمن.
- وبماذا تؤمن؟

- أؤمن بالحياة تتحرك نحو غايتها، أؤمن بالإنسان وسلامة توجهه،.. أؤمن بقدرته على التطور والإبداع، وعلى التجديد فيما عنده، أؤمن بالسعى الممتد إلى ما بعده إليه.

- يا سبحان الله.. يظهر أنه لا بد أن تسير طريقى كله حتى تكفر بكل هذا.. أنت تتفرج على الناس من فوق كرسيك هذا وتتشدق بالألفاظ، ولكنك لا تعيشها مثلما فعلت أنا، ولكن قل لى بالله عليك كيف تحتفظ بإيمانك هذا وأنت ترى الفشل تلو الفشل فى صورتنا نحن المرضى.. ألا نبيئسك فى حياتك وآمالك حين نفشل ونستسلم؟ هل مازلت ترى نبض الإنسان وراء حطام مثل هذا الجسد الحى الميت أمامك: "أنا"؟

- إن ما حافظ على إيمانى هذا هو قدرة الإنسان الخارقة على أن يجمع شتات نفسه رغم كل شيء وبعد كل شيء... إن مازاد إيمانى بالإنسان هو رؤيتى له عارياً يصارع الزيف بالألم، نعم بل هو يصارعه حتى بالمرض.. إذا عبره وانتصر.. "أنت" "أنت" الذى حافظت على إيمانى هذا.

.....

المقتطف الرابع : تكلمة الحوار من فصل: "الشعلة والحريق..."

.....

قال الحكيم (الطبيب)

"...إن المرض رفض، والرفض لا يثمر إلا بقيام الثورة وأنا أقف بجوارك لنكمل الطريق .. فالثورة لا تكون ثورة إلا بعد تحقيقها، وإلا فهى محاولات مجهزة فى الظلام. لا يخرج منها إلا مسخ ناقص النمو.

- عليك نور.. أنا المسخ ناقص النمو أنا المسخ المشوه.

- ولكن هذا التشوه الذى يظهر عليك مرحلى وسطحى، أما جوهرك فهو هو، وإلا ما مرضت، المرض يصبح نعمة حين تخرج منه أصلب عوداً، وأقدر على الاستمرار.

أما النضج المعروض فهو أن تتشكل وتتلون لتتكيف مع كل زيف حولك، ما علينا

أؤمن بالحياة تتحرك نحو غايتها، أؤمن بالإنسان وسلامة توجهه... أؤمن بقدرته على التطور والإبداع، وعلى التجديد فيما عنده، أؤمن بالسعى الممتد إلى ما بعده إليه

- أنا الآن عار من المبادئ، ومن الألفاظ، ومن المعانى، ومن الحياة، فما حيلتك فى؟!..
- ولكنك مازلت تائراً .
- لا ..لا..، كله إلا هذا.. كفانى ثورة
- بل أنت تائر على تصور فشل الثورة، لذلك فأنت ترتدى مظهر الاستسلام.. ومازالت الجمره فىك وبك.
- لا تحاول أن تبعث فيها الحياة.. لقد انطفأت الشموع جميعا وعم الظلام.
- الشموع قد تنطفئ، والجمره قد يعلوها الرماد، ولكنها متقددة فى داخلك.
- لا ترسل نسيم ألفاظك إلى حيث لا تعلم، فإنها لو أشعلت الجمره من جديد فلا أحد يعرف كيف سأنفجر، سأتحطم تماما وقد أحطمك معى.. ألا تسمع عن المرضى الذين يقتلون.. أنا أشعر الآن بالطريق إلى ذلك، إن هذا يحدث من إعادة اشعال هذه الجمره، إياك أن تقترب منها داخل أى منا، دعه يكتوى بنارها المتسحبة تحت الرماد حولها حتى يحترق ويموت.
- إذن فهناك جمره.
- تحترق.. فهيا ساعدها بعقاقيرك المهدئة العظيمة لتنطفئ إلى رماد.. أرجوك لا تهيجها بألفاظك المثيرة.
- بل العقاقير تهدئها مرحليا حتى تصبح طاقة قادرة على الاستمرار.
- وماذا بقى منى حتى أستمر؟
- كل هذه الخبرات لا بد أن تتجمع.. وتعود إلى حياتك العادية، لتجعل العالم كله غير عادى.. بالتطور والعمل والاستمرار.
- ولكنى فشلت.. فلماذا التطور، هذه كلمة خبيثة خادعة، يبدو أن التطور هو خدعة تاريخية
- ليس تماما، وبالذات بعد خبرتك هذه
- ولماذا أنا بالذات؟
- لأنك مرضت، إذن فقوتك الداخلية أكبر من سائر البشر، إذن فأنت تحمل رسالة التطور.
- وهذه الرسائل التى آمنت بها حتى كفرت، ألم تكن وسيلة للتطور.
- لو صحّ تطبيقها قد تكون كذلك ، لكن القائمين عليها لم يعرفوا عمق جوهرها
- إذن لماذا احترقت بنارها وشككت فى كل شئ.. على فكرة أنا أشك فىك.
- هذا بديهى.
- وأرى خيالات وصورا وأشياء كثيرة من حولى.
- مثل ماذا؟
- أرى أفلاطون وأرسطو وبعض الأنبياء، أى والله أحيانا أعيش فى جمهورية أفلاطون، وأحيانا أنام فى غار حراء.. ما أجمل كل هذا رغم كل شئ...، أن تعيش مع هؤلاء الذين استمروا ليغيروا

إن ما حافظ على إيمانى هذا هو قدرة الإنسان الخارقة على أن يجمع شتات نفسه رغم كل شئ، وبعد كل شئ... إن ما زاد إيمانى بالإنسان هو رؤيتى له محاربا يصارع الريف بالأمم، نعم بل هو يصارعه حتى بالمرض... إذا حبره وانتصر

قال الحكيم (الطبيب)
 "...إن المرض رفض، والرفض لا يثمر إلا بقاء الثورة وأنا أفتق بجوارك لنكمل الطريق.. فالثورة لا تكون ثورة إلا بعد تحقيقها، وإلا فهى محاولات مجهضة فى الظلام. لا يخرج منها إلا مسخ ناقص النمو.

العالم دون أن يمرضوا، ولا أن ينهاروا، ولكن من يدري؟ لعله لو كان هناك أيامها طب نفسي كنتم قلتم أنهم مرضى.. كل شيء جائز، فالعلم الخبيث خليق أن يشوه كل شيء، أن يعطي رقما رمزيا أو إسما تشخيصيا لكل تشخيصيا لكل نبض إنساني، حتى لو كان نبيا، على فكرة.. ما اسم مرضى؟

- ليس لمرضك اسم.

- طبعا... تخفيه لأنه الجنون.. فما معنى الجنون؟

- أنا لا أعرف معنى لهذا اللفظ... ولكن ما أنت فيه هو أزمة التطور.. أما ما يسمونه جنونا فأنا لا أعرفه إلا حين تتم الهزيمة الكاملة.

- ولكنني هزمت نفسي... فعلا.

- ليس بعد

- إذن ماذا؟

- لا بديل للاستمرار

- فما تفسير هذا الفشل كله؟

- لقد نسيت أن تطور الانسان يحتاج لآلاف السنين.

- إذن لا بد أن أعيش آلاف السنين حتى التطور.

- بل بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أدت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك،

ليخطو هو أيضا، انطلاقا من الآن: نحو الغد، وهكذا.

العلم الخبيث خليق أن يشوه كل شيء، أن يعطي رقما رمزيا أو إسما تشخيصيا لكل نبض إنساني، حتى لو كان نبيا

بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أدت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك، ليخطو هو أيضا، انطلاقا من الآن: نحو الغد، وهكذا

*** **

المعجم " النفساني " في العلوم والطب

معجم المصطلحات الأساسية في علوم وطب النفس

المصادر نخبية من أبرز الأطباء وعلماء النفس العرب

المعجم " النفساني " على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=46&controller=category&id_lang=3

دليل المعجم " النفساني " (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=252&controller=product&id_lang=3

المعجم " النفساني " على شبكة علوم النفس العربية

مصطلحات المعرفة الأول من " الموسوعة العربية " (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Ar.pdf>

مصطلحات المعرفة الأول من " الموسوعة الانكليزية " (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Eng.pdf>

مصطلحات المعرفة الأول من " الموسوعة الفرنسية " (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Fr.pdf>

المعجم " النفساني " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Dictionaries-Encyclopedias-204277553287741/>